تعدد وظيفة الأداة النحوية في القرآن الكريم وأثره في المعنى في القرآن الكريم

م. د.علي طرخان خرباط

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بابل

dapiytgjjr@gmail.com

تاريخ الطلب: ٢٠٢٣/٥/٢

تاريخ القبول: ١ /٢٠٢٣/٦

ملخص البحث.

الحمد لله ربّ العالمين الذي علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على أبي القاسم محمد النبي الأكرم، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فلدلالة المفردة المعجمية دور كبير في تحديد وظيفتها النحوية، بيد أننا نجد قسما من المفردات التي تخلو من الدلالة المعجمية، كالأدوات التي تشترك كلّها في عدم دلالتها على معان معجمية، لكنّها تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق، فدلالتها تستنبط من السياق الذي ترد فيه، فليس ثمّة بيئة للأدوات خارج السياق؛ لأنّها تفتقر افتقارًا متأصلا إليه.

بناء على ذلك تتعدد وظائف الأدوات على وفق ما يسمح به السياق، فلكلّ وظيفة معنى معينا، إذ لا يخفى على دارس العربية العلاقة الوطيدة والارتباط الوثيق بين المعنى والإعراب فهما صنوان، لذا جاء هذا البحث تحت عنوان ((تعدد وظيفة الأداة النحوية في القرآن الكريم وأثره في المعنى في القرآن الكريم))، وقد جذب انتباهي ما وجدته في كتب إعراب القرآن ومعانيه وتفسيره من كثرة الاحتمالات النحوية، وقد كثرت موارده في هذه المؤلفات، فكان ذلك سببا من أسباب الكشف عن موقف العلماء منه، في ضمن سياقاته التي يرد وتختلف فيها أقوالهم وآراؤهم.

وقد قُسِّم البحث على ثلاثة مباحث، سبقها تمهيد، تحدثت فيه عن تعدد وظيفة الأداة النحوية وأثره في المعنى، وأمّا المبحث الأول فقد تناول تعدد الوظيفة النحوية في الأدوات الأحادية، وخصص المبحث الثاني لدراسة تعدد وظيفة الأداة النحوية الثنائية، فيما درس المبحث الثالث تعدد وظيفة الأداة النحوية الثلاثية والرباعية، وخُتم البحث بخلاصة ضمت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

كلمات المفتاحية: وظيفة، الأداة، المعنى، النحوية.

Abstracts:

Praise be to God, Lord of the Worlds, who taught man what he did not know, and prayers and peace be upon Abu al-Qasim Muhammad, the most honorable Prophet, and upon his good and kind family and companions, and whoever called with his call until the Day of Judgment, after:

The connotation of the lexical term has a great role in defining its grammatical function, however, we find a section of the vocabulary that is devoid of lexical significance, such as the articles that share lexical meanings in their non-existence, but they denote a general functional meaning which is the commentary, so their significance is deduced from the one in which they are received, so there is no environment for tools outside of reality; Their lack of knowledge is ingrained to him.

This page works under the title (multiple grammatical functions in the Holy Quran and its impact). in meaning)), and it caught my attention and found it in these works.

The research was divided into three sections, the introduction of which is an introduction, and its introduction on the multiplicity of research functions: the first, the first research, the interpretation of the grammatical function in the monosyllabic tool, and the second topic devoted the multiplicity of the triple and quadruple grammatical search functions, and the research concluded with a summary that included the most important findings of the researcher.

Keywords: function, tool , meaning, syntax

ـــ المبحث الأول: تعدد وظيفة الأداة النحوية الأحادية.

ـــ المبحث الثاني: تعدد وظيفة الأداة النحوية الثنائية

ـــ المبحث الثالث: تعدد وظيفة الأداة النحوية الثلاثية والرباعية.

توطئة.

١ـ إنْ قوله ﴿:ﷻوَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ [١]﴾ولا يعرف زيادة " إن " إلا في النفي، وإنما تكون زائدة في الإيجاب " أن " المفتوحة)).[٢]وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ .[٣]((

٢ـ الباء قوله ﴿:ﷻيَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ. [٤]﴾

٣ـ اللام في قوله ﴿:ﷻوَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ[٥]﴾

٤ـ ما في قوله ﷻ:﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾[٦] ((لتنذر قوما ما أنذر﴾ [٧]

٥ـ من قوله ﴿:ﷻإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّار [٨]﴾

٦ـ الواوفي قوله ﴿:ﷻقَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ، [٩]﴾وقوله تعالى(ولا يكتمون الله حديثا)) [١٠]

٧ـ قوله ﴿:ﷻوَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى.[١١]﴾

ــ المبحث الأول: تعدد وظيفة الأداة النحوية الأحادية.

أطلق أهل اللغة على حروف الجر حروف المعاني؛ لأن هذه الحروف تدل على معانٍ متعددة ومختلفة، ويكون السياق هو من يحدد وظيفة الأداة، وإن كان لكل حرف من حروف الجر معنى أصيلاً، إليه ترد سائر معانيه الأخرى، وسنتناول في هذا المبحث الأدوات النحوية الأحادية، وهي: (الواو– اللام).

. ـ الواو.

للواو في العربيّة استعمالات كثيرة، منها العطف وهو الأصل فيها، والاستئناف، والحال، وغير ذلك[١٢]، وثمّة مواضع وردت فيها)الواو) وقد اختلف العلماء فيها، ومنها قولهﷻ {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا} ، [١٣]الْوَاوَ فِي قَوْلِهِ: وَلَا يَكْتُمُونَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ لِلْحَالِ، أَوْ لِلْعَطْفِ فَإِنْ كَانَتْ لِلْحَالِ كَانَ الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوَدُّونَ إِنْ كَانُوا مَاتُوا وَسُوِّيَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، غَيْرَ كَاتِمِينَ اللَّهَ حَدِيثًا، فَهِيَ حَالٌ مِنْ بِهِمْ، وَالْعَامِلُ فِيهَا تُسَوَّى. وَهَذِهِ الْحَالُ عَلَى جَعْلِ لَوْ مَصْدَرِيَّةً بِمَعْنَى أَنْ، وَيَصِحُّ أَيْضًا الْحَالُ عَلَى جَعْلِ لَوْ حَرْفًا لِمَا سَيَقَعُ لِوُقُوعِ غَيْرِهِ، أَيْ: لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ غَيْرَ كَاتِمِينَ اللَّهَ حَدِيثًا لَكَانَ بُغْيَتَهُمْ وَطِلْبَتَهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَالْعَامِلُ يَوَدُّ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ تَكُونَ لَوْ مَصْدَرِيَّةً أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ كَانُوا سُوِّيَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ غَيْرَ كَاتِمِينَ، وَتَكُونُ هَذِهِ الْحَالُ قَيْدًا فِي الْوِاوِ. أَيْ تَقَعُ الْوِاوِ اداةُ مِنْهُمْ لِمَا ذُكِرَ فِي حَالِ انْتِفَاءِ الْكِتْمَانِ، وَهِيَ حَالَةُ إِقْرَارِهِمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَيَكُونُ إِقْرَارُهُمْ فِي مَوْطِنٍ دُونَ مَوْطِنٍ، إِذْ قَدْ وَرَدَ أَنَّهُمْ يَكْتُمُونَ، وَيَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ حَالًا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ. (وَلَوْ) حَرْفٌ لِمَا كَانَ سَيَقَعُ لِوُقُوعِ غَيْرِهِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْحَالِ، وَعَامِلِهَا بِالْجُمْلَةِ، وَإِنْ كَانَتِ الْوَاوُ فِي: (وَلَا يَكْتُمُونَ)، لِلْعَطْفِ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَطْفِ الْمُفْرَدَاتِ، وَمِنْ عَطْفِ الْجُمَلِ. فَإِنْ كَانَتْ مِنْ عَطْفِ الْمُفْرَدَاتِ كَانَ ذَلِكَ مَعْطُوفًا عَلَى مَفْعُولِ للفعل (يَوَدُّ) أَيْ: يَوَدُّونَ تَسْوِيَةَ الْأَرْضِ بِهِمْ وَانْتِفَاءَ الْكِتْمَانِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ انْتِفَاءُ الْكِتْمَانِ فِي الدُّنْيَا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، وَيَبْعُدُ جِدًّا أَنْ يَكُونَ عُطِفَ عَلَى مَفْعُولِ (يَوَدُّ) الْمَحْذُوفِ، و(لَوْ)حَرْفٌ لِمَا

كَانَ سَيَقَعُ لِوُقُوعِ غَيْرِهِ. وَإِنْ كَانَتْ مِنْ عَطْفِ الْجُمَلِ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى (يَوَدُّ)، أَيْ: يَوَدُّونَ كَذَا وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا، فَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ بِخَبَرَيْنِ الْوِدَادَةِ وَانْتِفَاءِ الْكِتْمَانِ، وَيَكُونُ انْتِفَاءُ الْكِتْمَانِ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولُ (يَوَدُّ) مَحْذُوفًا كَمَا قَرَّرْنَاهُ، و(لَوْ) حَرْفٌ لِمَا كَانَ سَيَقَعُ لِوُقُوعِ غَيْرِهِ، وَجَوَابُهَا مَحْذُوفٌ كَمَا تَقَدَّمَ. وَالْجُمْلَةُ مِنْ قَوْلِهِ: (وَلَا يَكْتُمُونَ) مَعْطُوفَةٌ عَلَى (لَوْ وَمُقْتَضِيَتُهَا، وَيَكُونُ تَعَالَى قَدْ أَخْبَرَ بِثَلَاثِ جُمَلٍ: جُمْلَةِ الْوِدَادَةِ، وَالْجُمْلَةِ التَّعْلِيقِيَّةِ مِنْ (لَوْ) وَجَوَابِهَا، وَجُمْلَةِ انْتِفَاءِ الْكِتْمَانِ.

وتأتي الواو للتفريق بين المصدر والظرف ففي قوله تعالى: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ }[١٤]. لم تحذف الواو؛ لأنه ظرف مكان بخلاف(جهة) وليس وصفه مثل صفة ولا وزنة مثل زنة؛ فإتيان بالواو لمعانٍ أخرى غير المصدرية الدالة على الحدث غير المشخص، وهذا معنى غير مفيد .[١٥]

وقد تأتي الواو للتفريق بن المصروف والممنوع من الصرف، نحو : عمر عمرو وبين الاسم والحرف، نحو: أولئك و أولي، لئلا مثبتة بالباء والى وبين المنسوب اليه والمضاف الى ياء المتكلم، نحو أخويّ وأخي

وقد تصحبها الألف بين واو ضمير الفاعلين وبين واو الأصل أو العلاقة نحو الرجال تعلموا و معلمو الرجال، و(ألو العلم)، و(أخو الرجل)، و(الرجل يغزو)، و(ذو المال)، و(ذوو المال) فهذه تأتي بلا ألف؛ لأنها ليست ضمائر، ولا محل لها من الاعراب، وإنما تلحق واو الأفعال الخمسة في حالتي النصب والجزم، وافعال الأمر المسندة الى واو ضمير الفاعلين، أو ما ينوب عنهم، اذا كان الفعل مبنياً للمجهول، فيكون لها محل من الإعراب بخلاف الأولى، ولما كانت الواو صائتاً طويلاً وليست صامتاً فقد نقل تحريكها، فكان الإعلال بالنقل سبيلاً الى تحويلها الى صوت مجانس، كما كان الإعلال بحذف الحركة سبيلاً الى بقائها متطرفة في الأفعال المعتلة، نحو: يغزو ويربو ويدعو، وفي ماضيها تقلب ألفاً؛ لتحريكها بالفتح مع فتح ما قبلها: غزا ، رباً، دعا؛ للدلالة على أن اصلها واوً بخلاف، رمى وبنى، وقضى، فقد رسمت بالألف المقصورة ؛ للدلالة على أن أصلها ياءً، ولضعفها استهين بها، فحذفت نطقاً عند التقاء ساكن ، نحو يغزو الرجل .[١٦]

وللواو في التراكيب وظائف كثيرة، يبنى عليها السياق اثباتاً ونفياً، ايجازًا وتفصيلاً، خبراً أو إنشاءً؛ لأنها الأداة الجامعة للمفردات والجمل، النائبة عن محذوف، إذ وتختص من بين أدوات الربط بمميزات لا تنهض غيرها بها، لذلك كانت أكثرها مروراً بالكلام، ففي العطف تأتي لمطلق الجمع، فتعطف الشيء على مصاحبه[١٧]، كما في قوله تعالى: {فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ}[١٨]، وعلى سابقه نحو قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }[١٩]، وعلى لاحقه ، نحو قوله تعالى: {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[٢٠]، وإذا قيل: قام زيد وعمر، احتمل ثلاثة معانٍ ، كونها للمعية راجح ، وللترتيب كثير، ولعكسه قليل، ويجوز أن يكون بين متعاطفيها تقارب أو تراخٍ، نحو

قوله تعالى:{ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}[٢١]، وتعطف الشيء على مرادفه، نحو قوله تعالى:{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } .[٢٢]

تؤدي الواو وظيفة تأكيد لصوق الصفة بموصوفها ، نحو قوله تعالى: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ}[٢٣]، واللصوق هو الجمع، وهو من معاني الواو، ثم إن الصفة مع موصوفها كالكلمة الواحدة، بدليل ثباتها عن موصوفها اذا غلبت، كالدنيا والآخرة والفيحاء، والواو في العطف تدخل ما بعدها في حكم ما قبلها ، لذلك اشترط أن يكون بينهما تناسب يقضي المشاركة بالعطف[٢٤]، واذا فقد هذا الشرط تكون للمصاحبة، فينصب الاسم بعدها على أنه مفعول معه، وإذا كان فعلاً مضارعاً مسبوقاً بنفي أو نهي، فهي واو الصرف[٢٥]، لأن ما بعدها لا يتناسب مع ما قبلها؛ لذلك ينصب الفعل بـ (أن) مضمرة، نحو قول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

فانه لا يصح إعادة (وتأتي) على (تنه)، والعطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين بخلاف النصب ، فانه يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين لا النهي عن كل واحد على انفراد؛ لأنها تدل على الاجتماع والتفريق، لنيابتها مناب صيغة التثنية إثباتاً أو نفياً، و(جامعة لتغليب المذكر على المؤنث، إذ نقول: طلعت الشمس والقمر، وطلع الشمس والقمر على هذا، ولا نقول في (جُمِعَ) إلاّ يُجُمِعَ الشمس والقمر) .[٢٦]

فقد جمعت المختلفين، لأنها لا ترتب، بدليل جمعها لفاعلي تفاعل وافتعل في باب المفاعلة والافتعال، بخلاف الفاء التي تعطف المتجانسين، نحو قوله تعالى: {فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً }[٢٧]، إذ عطف على الجملة الأول بالفاء في (فلينظر) والأخيرة بالواو في (وليتلطف)، لما انقطع نظام الترتيب؛ لأن التلطف غير مرتب على الإتيان بالطعام، فما كان الإتيان به مترتباً على النظر فيه مرئياً على التوجه في طلبه، والتوجه في طلبه مترتباً على قطع الجدال في المسألة عن مدة اللبث[٢٨]؛ لذلك جاءت الواو للاستئناف اذا كان ما بعدها غير متعلق بما قبلها في المعنى، نحو قوله تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً }[٢٩]، وقوله تعالى:{لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ} .[٣٠]

وتأتي الواو للتوكيد والدلالة على حقيقة ما بعدها وهي التي يطلق عليها (واو الثمانية) نحو قوله تعالى:{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ}[٣١]، وقوله تعالى:{ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً}[٣٢] فقد ادت الواو وطبقت على أن اللذين قالوا : (سبعة وثامنهم كلبهم) قد صدقوا الى وأخبروا بالحق، بخلاف الذين قالوا: (ثلاثة رابعهم كلبهم) والذين قالوا: (خمسة سادسهم كلبهم) وقد دخلت الواو في آخر إخبار عددهم؛ لتدل على أن هذه نهاية ما قيل، ودخلت السين في قوله : (سيقولون)الاول ولم تدخل على الثاني والثالث استغناءً، بدخولها في الأول وفي الثاني قال (رجماً بالغيب ولم يقل بالثالث)[٣٣]، وقال تعالى : {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا }[٣٤]، و{وَسِيقَ الَّذِينَ

اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا }[٣٥]، وإنما قال: (وفتحت أبوابها) في الجنة بالواو، وقال في النار (فُتِحت) بغير واو؛ لأن أبواب الجنة مفتحة قبل مجيء أهلها، والمعنى حتى اذا جاؤوها وأبوابها مفتحة قالوا (واو حال)، وجواب إذا على هذا محذوف، وأما أبواب النار فإنها فتحت حين جاؤوها فوقع قوله: (فتحت) جواب الشرط .[٣٦]

اللام:

اختلف العلماء والمفسرون في وظيفة اللام في قوله تعالى: {وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}[٣٧]، فقوله تعالى (لتستووا على ظهوره) أي لتستووا متمكنين مرتفقين (على ظهوره) أي: على ظهور هذا الجنس (ثم تذكروا نعمة ربكم) أي: فيما سخر لكم (إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أي: مقاومين، ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه، وعن ابن عباس وقتادة والمَسْديّ وابن زيد (مقرنين) أي: مطيقين[٣٨]، قوله تعالى: (لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا) إلى قوله: (المنقلبون) الاستواء على الظهور الاستقرار عليها والضمير في (ظهوره) راجع إلى لفظ الموصول في (ما تركبون)، والضمير في قوله: (إذا استويتم عليه) للموصول أيضاً، فكما يقال: استويت على ظهر الدابة يقال: استويت على الدابة.

والمراد بذكر نعمة الرب سبحانه بعد الاستواء على ظهر الفلك والأنعام ذكر النعم، التي ينتفع بها الإنسان؛ بتسخيره تعالى له هذه المراكب، كالانتقال من مكان إلى مكان وحمل الأثقال، قال تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ }، وقال: (والأنعام خلقها) إلى أن قال: { وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس} أو المراد ذكر مطلق نعمه تعالى بالانتقال من ذكر هذه النعم إليه، وقوله: { وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ } أي: مطيقين والإقران الإطاقة.

وظاهر ذكر النعمة عند استعمالها والانتفاع بها شكر منعمها، ولازم ذلك أن يكون ذكر النعمة غير قول: (سبحان الذي) الخ، فإن هذا القول تسبيح وتنزيه له عما لا يليق بساحة كبرياءه، وهو الشريك في الربوبية والألوهية، وذكر النعمة شكر – كما تقدم – والشكر غير التنزيه، ويؤدي هذا ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) فيما يقال عند الاستواء على فالروايات على اختلافها تتضمن التحميد وراء التسبيح، يقول: (سبحان الذي)[٣٩] الخ. وروى الزمخشري في (الكاشف) عن الحسن بن علي (عليهما السلام) : أنه رأى رجلاً يركب دابة فقال : سبحان الذي سخّر لنا هذا، فقال: أبهذا أُمرتم؟ فقال: وبم أُمرنا؟ قال أن تذكروا نعمة ربكم (ما كنّا له مقرنين) أي: ما كنا له مطيقين، ولولا تسخير الله لنا ما قدرنا عليه .[٤٠]

والذي ذهب اليه أكثر المفسرين أنّ اللام في (لتستووا) هي لام التعليل، ووافقهم ابو حيان[٤١]، والسمين الحلبي (ت٧٥٦ هـ)[٤٢]، وخالفهم ابن عطية (ت ٥٤٢هـ) فذهب الى انها لام الأمر[٤٣]، وردّهُ ابو حيان بقوله: (وفيه بُعدٌ من حيثُ استعمالُ أمرِ المخاطب بتاءِ الخطاب، وهو من القلّةِ بحيثُ ينبغي ان لا يقاس عليهِ) .[٤٤]

وفي (تفسير الجلالين): (لتستووا) أي: لتستقروا (على ظهوره) فذكر الضمير وجمع الظهر؛ نظراً للفظ (ما) ومعناها{ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ }، أي: مطيقين[٤٥]، وفي (التفسير الميسر): لكي تستووا على ظهور ما تركبون، ثم تذكروا نعمة ربكم اذا ركبتم عليه، وتقولوا: الحمد لله الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مطيقين، ولتقولوا أيضاً: وإنا الى ربنا بعد مماتنا لصائرون اليه راجعون.[٤٦]

ــ المبحث الثاني: تعدد وظيفة الأداة النحوية الثنائية

إن معنى الأداة لا يتحصل كونها لفظة مفردة، بل يتحصل حال كونها لفظة في سياق، والسياق مقال ومقام، وهذا سيكون في الأدوات الآتية هم: كم، وما، وإن.

كم:

تعد (كم) من كنايات العدد، وهي اسم مبهم يحتاج إلى تمييز، وتقسم على قسمين، أحدهما: استفهامية إذا كان تمييزها مفردًا منصوباً، نحو: كم يومًا صمت؟، والأخرى: خبرية تفيد الأخبار عن الكثرة أو التعجب من الكثرة، ويكون تميزها مجروراً، نحو: كم رجلٍ انتم.

وقد اختلف العلماء فيها في قوله تعالى:{سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[٤٧]؛ فذهب فريق منهم إلى أنّها استفهامية، والمعنى أنّ الله تعالى أمر نبيه محمد صل الله عليه وسلم أن يسأل أنبياء بني إسرائيل وعلماءهم عمّا آتاهم الله من الآيات، ردا على سؤال كان منهم بطلب الآيات، فنبّه الله بلفظة(كم) على كثرة ما آتاهم من الآيات، وهي فلق البحر وتظليل الغمام، والمن والسلوى وغير ذلك، فليس المقصود من السؤال أن يجيبوا ليعلم الرسول، لأن الرسول كان عالما بها بإعلام الله تعالى إياه، وإنّما يراد به المبالغة في الزجر عن إعراضهم عن دلائل الله، وتقريعهم وتوبيخهم على طغيانهما وجحودهم الحق بعد وضوح الآيات .[٤٨]

وذهب فريق آخر إلى إنّها خبرية والمعنى أنّ الله أخبر رسوله الكريم بأنّه أعطى بني إسرائيل آيات بينات كثيرة، تقدّم ذكرها ولكنهم كفروا بها،((فكم خبرية... والمسؤول عنه محذوف، والجملة ابتدائية لا محل لها من

الإعراب، مبينة لاستحقاقهم التقريع، كأنّه قيل: سل بني إسرائيل عن طغيانهم وجحودهم للحق بعد وضوحه، فقد آتيناهم آيات كثيرة بينة))[٤٩]. وهذا الرأي هو الأرجح والأظهر من الرأي الأول.

وأجاز الزمخشريّ(ت٥٣٨هـ) الوجهين فقال:((فإن قلت: كم استفهامية أم خبرية ؟ قلت: تحتمل الأمرين، ومعنى الاستفهام فيها للتقرير)) .[٥٠]

ووافق الزمخشري جماعةٌ من المفسرين فأجازوا أن تكون(كم) خبرية، منهم الرازي(ت٦٠٦هـ)، والبيضاوي (ت٦٨٥هـ)، وأبو السعود(ت٩٨٢هـ)، والشوكاني(ت١٢٥٠هـ).

ويرى أبو حيان(ت٧٤٥هـ) أنّ (كم) في الآية استفهامية، ورفض أن تكون خبرية قائلا:(وَأَجَازَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنْ تَكُونَ: كَمْ، هُنَا خَبَرِيَّةً،... وَهُوَ لَيْسَ بِجَيِّدٍ، لِأَنَّ جَعْلَهَا خَبَرِيَّةً هُوَ اقْتِطَاعٌ لِلْجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ فِيهَا مِنْ جُمْلَةِ السُّؤَالِ؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ الْمَعْنَى: سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَا ذُكِرَ الْمَسْئُولُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: كَثِيرًا مِنَ الْآيَاتِ آتَيْنَاهُمْ، فَيَصِيرُ هَذَا الْكَلَامُ مُفَلَّتًا مِمَّا قَبْلَهُ، لِأَنَّ جُمْلَةَ: كَمْ آتَيْنَاهُمْ، صَارَ خَبَرًا صِرْفًا لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ: سَلْ، وَأَنْتَ تَرَى مَعْنَى الْكَلَامِ، وَمَصَبَّ السُّؤَالِ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الِاسْتِفْهَامِيَّةِ، وَيَحْتَاجُ فِي تَقْرِيرِ الْخَبَرِيَّةِ إِلَى تَقْدِيرِ حَذْفٍ، وَهُوَ الْمَفْعُولُ الثاني: لسل، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنِ الْآيَاتِ الَّتِي آتَيْنَاهُمْ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْآيات آتيناهم)[٥١]، وعندي أن معنى الاستفهام هو الأقرب والمتبادر إلى الذهن، لأن الإخبار هو إقرار من المخبر بالأمر، والاستفهام يراد به إشراكهم في الأمر، فيكون أكثر وقعا وأثرا فيهم، وهذا الأسلوب كثير في العربية، فثمة اساليب تستعمل لغرض غير غرضها،((منها الاستفهام المجازي الذي يُراد به النفي الضمني، وهو بخلاف النفي الصريح، فالقائل: ما مسيء من أعتب، إقرار من المتكلم بالأمر، فإذا قال: هل مسيء من أعتب؟، فإنّه يريد إشراك المخاطب في هذا الأمر، ويطلب منه الإجابة، وهو عارف بالجواب المنتظر وهو النفي، ومنه قول حُميد بن ثور الهلالي:[٥٢]

سَلِ الرَّبْعَ أَنَّـى يَمَّمَتْ أُمُّ سَالِمٍ وَهَلْ عَـادَةٌ لِلرَّبْـعِ أَنْ يَتَكَلَّمَا.

فقوله: وهل عادة للربع، لفظه استفهام ومعناه النفي، أيْ: ليس تلك عادة له)).[٥٣]

وهذا كما لو أراد أحد أن يوبخ شخصا فيقول لمن حضر: سله كم أنعمت عليه؟ فيكون السؤال تقريرا لتأكيد الحجة عليه، وإنّما دخلت (من) في (من آية) مع (كم) الاستفهامية؛ للتفريق بينها وبين المنصوب، فكان الأصوب أن يفصل بينها وبين تمييزها بـ(من)، إذ لو لم تدخل (من) لأوهم أنّ المنصوب مفعول به للفعل قبله .

ـ ما .

استعملت العرب (ما) في كلامها لفظا مشتركا، فهي تقع تارة اسمًا، كالاستفهامية والشرطية والموصولة والتعجبية، وما إلى ذلك، وتقع تارة حرفًا، كالنافية والمصدرية والزائدة وغيرها، وذلك بحسب عود الضمير عليها وعدم عوده، فضلًا عن قرينة سياق الكلام[٥٤]. وقد وقع خلاف بين العلماء في قسم منها، كاختلافهم فيها في قوله﴿:ﷻقال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون[٥٥]﴾ فقد اختلفوا في نوع (ما) الثانية وجعلوها على أربعة أوجه: الأوّل: أنّها اسم موصول بمعنى الذي معطوفة على الضمير(الكاف) في (خلقكم) و(تعملون) صلة الموصول، فيكون معنى الكلام: أنّ الله ﷻخلقكم وخلق الذي تعملون منه الأصنام والتماثيل، كالنحاس والخشب وغير ذلك، قبل أنْ تعملوا أشكال الأصنام، وقيل استفهامية على التحقير لعملهم[٥٦]، وصورها وهذا كقولنا: عمل الصائغ السوار والخلخال، وعمل الحداد القفل، والمقصود عمل أشكال هذه الأشياء دون جواهرها أيْ: أصلها .[٥٧]

الثاني: جوّز مكي بن أبي طالب القيسيّ وأبو البركات الأنباري(ت٥٧٧هـ) أنْ تكون(ما) اسم استفهام في موضع نصب مفعول به بـ(تعملون)، على التوبيخ والتقريع والتحقير لعملهم والتصغير له، والمعنى: وأيّ شيء تعملون [٥٨]

الثالث: أجاز الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) أنْ تكون (ما) نافية، والمعنى: أنّ العمل إنّما هو في الأصل ليس لكم؛ إذ إنّكم لا تعملون شيئا .[٥٩]

الرابع: وذهب فريق من العلماء إلى أنّ(ما) مصدرية، وهي وما بعدها في تأويل مصدر في موضع نصب على المفعولية، والتقدير: والله خلقكم وعملكم، وقد جعل أصحاب هذا المذهب هذه الآية دليلًا على نقض كلام المعتزلة، وإثبات أنّ أفعال العباد إنّما هي خَلْق لله ﷻ، واكتساب للعباد، وهذا مذهب أهل السنة .[٦٠]

ولم يرتض الزمخشريّ هذا الرأي ووصفه بالتعسّف قائلا:((فإن قلت: فما أنكرت أنْ تكون ما مصدرية لا موصولة، ويكون المعنى: والله خلقكم وعملكم، كما تقول المجبرة[٦١] ؟ قلت: أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أنّ معنى الآية يأباه إباء جلياً، وينبو عنه نبوّاً ظاهراً، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ قد احتج عليهم بأنّ العابد والمعبود جميعا خلق الله، فكيف يعبد المخلوقُ المخلوقَ، على أنّ العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله، ولولاه لما قدر أنْ يصوّر نفسه ويشكلها، ولو قلت: والله خلقكم وخلق عملكم، لم يكن محتجاً عليهم ولا كان لكلامك طباق. وشيء آخر وهو أنّ قوله:﴿ما تعملون﴾ ترجمة عن قوله:﴿ما تنحتون﴾ و)ما(في﴿ ما تنحتون﴾ موصولة لا مقال فيها، فلا يعدل بها عن أختها إلّا متعسف متعصب لمذهبه، من غير نظر في علم البيان، ولا تبصر لنظم القرآن)).[٦٢]

يبدو واضحا أنّ الزمخشريّ يرى أنّ سبب تعسّف هذا الرأي النحوي إنّما هو تعصب أصحاب هذا الرأي لمذهبهم الفقهي؛ إذ يجعْل (ما) مصدرية يكون المعنى أنّ أعمال العباد مخلوقة لله ﷻ، وهذا المعنى يخدم مذهبهم

- وهو مذهب أهل السنّة - وينصره، بل يقرّره؛ لأنّه يشمل الصنم والنحت على أنّه من صنع الإنسان، فهم يرون (أنّه لا فعل لأحد في الحقيقة إلّا [لله][٦٣] وحده، وأنّه هو الفاعل، وأنّ الناس إنّما تُنسب إليهم أفعالهم على المجاز)[٦٤]، ويزعمون أنّ العبد ليس بقادر على فعله البتة[٦٥]، فمثل الإنسان عندهم في أفعاله وحرّيته واختياره كمثل الريشة في الهواء، تميل بها الريح حيث تميل، من غير أن يكون لها أيّ تأثير.[٦٦]

وقد أغلق الزمخشريّ الأبواب كلّها بوجه أصحاب هذا الرأي، ولم يترك لهم منفذا ينفذون منه، فقال:(فإنْ قلت: اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت، وأريد: وما تعملونه من أعمالكم. قلت: بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلّا الإذعان للحق، وذلك أنّك وإنْ جعلتها موصولة، فإنّك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين، كحالك وقد جعلتها مصدرية، وأيضا فأنّك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون، حتى تخالف بين المرادين بهما؛ فتريد بما تنحتون الأعيان التي هي الأصنام، وبما تعملون المعاني التي هي الأعمال؛ وفي ذلك فك النظم وتبتيره؛ كما إذا جعلتها مصدرية) .[٦٧]

ممّا يُلاحظ في هذه القضية أنّ الزمخشريّ يحاول أنْ يدافع عن رأي مذهبه الذي يخالف مذهب أهل السنة والجماعة، ويحرص كلّ الحرص على مبادئ نظرية معتقده الإعتزاليّ (التي تؤكّد مسؤولية الإنسان عن أفعاله، بانية هذه المسؤولية على أساس من صنع الإنسان لهذه الأفعال، وإبداعه إيّاها، [وخلقه][٦٨] واختراعه لهذه الأفعال) .[٦٩]

وقد تنبّه ابنُ المنيّر الإسكندريّ(ت٦٨٣هـ) إلى ذلك فنبّه على أنّ ما ذهب إليه الزمخشريّ إنّما هو انتصار لعقيدته، وتحيّز إلى فئة الفتنة وطائفة البدعة - وهو يقصد المعتزلة - استنادًا إلى اعتقادهم أنّ ما يفعله العباد لا يخلقه الله ﷻ.[٧٠]

وممّا يُلاحظ أيضا أنّ لتعصّب المفسّر لعقيدته وإيمانه بها أثرًا جليّا في توجيه الآيات القرآنية، ولا سيّما التي تناولت المسائل العقائدية والفقهية، فالمفسِّر يحاول أنْ يوجه الآية توجيهًا نحويًا يؤدي إلى معنى يخدم مذهبه ويناصره ولو كان متعسِّفًا في رأيه النحوي، لذلك كانت التفاسير((ميدانًا رحبًا لصراع الأفكار والعقائد الإسلاميّة، وتلوّنت التفاسير بمعتقدات أصحابها وآرائهم)) .[٧١]

والذي يظهر لي أنّ الرأي الأوّل القائل بأنّ (ما) موصولة هو الراجح؛ وبخاصة إذا ما قوبل بالرأي القائل بأنّها مصدرية؛ إذ لو كان معنى الآية((والله خلقكم وخلق عبادتكم، لكانت الآية إلى أنْ تكون عذرًا لهم أقرب من أنْ تكون لومًا وتهجينًا، ولكان لهم أنْ يقولوا: ولمَ توبّخنا على عبادتها والله تعالى هو الفاعل لذلك ؟ فتكون الحجة لهم لا عليهم، ولأنّه قد أضاف العمل إليهم بقوله ﴿تعملون﴾، فكيف يكون مضافا إلى الله تعالى ؟ وهذا تناقض، ولما لزمتهم الحجة) .[٧٢]

وواضح أنّ الاحتكام إلى سياق الآية ودلالتها يكشف عن قوّة جعل(ما) موصولة، وضعف جعلها مصدرية؛ لأنّها لا تتناسب والمعنى، وهذا ما دعا الزمخشريّ إلى وصف رأي القائلين بأنّها مصدرية بالتعسّف، لذلك أرى أنّ تخريج الآية على أنّ (ما) موصولة أولى من الأوجه الأخرى وأرجح، إذا ما علمنا أنّ من أصحاب الرأي القائلين بأنها مصدرية من ارتضى وجه الموصولة على السواء ولم يفاضل بينهما، فهذا الطبريّ يقول: وفي قوله (وما تعملون).

وجهان، أحدهما: أنْ يكون قوله (ما) بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذ: والله خلقكم وعملكم، والآخر: أنْ يكون بمعنى (الذي)، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه، أيْ: والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم)[٧٣]، لا بل إنّ أبا حيّان الذي عُرف بتعقّباته للزمخشريّ في كلّ مسألة إعتزالية تلوح له في كشّافه نجده قد آثر وجه الموصولة، ووافق الزمخشريّ في هذا المسألة إذ يقول: ((الظاهر أنّ(ما) موصولة بمعنى (الذي) معطوفة على الضمير في (خلقكم) أيْ: أنشأ ذواتكم وذوات ما تعملون من الأصنام، والعمل هنا هو التصوير والتشكيل كما يقول: عمل الصائغ الخلخال، وعمل الحداد القفل، والنجّار الخزانة، ويحمل على ذلك أنّ(ما) بمعنى الذي يتم الاحتجاج عليهم بأنّ كلّا من الصنم وعابده هو مخلوق لله تعالى، والعابد هو المصوّر ذلك المعبود، فكيف يعبد مخلوق مخلوقًا وكلاهما خلْق الله، وهو المنفرد بإنشاء ذواتهما، والعابد مصوّر الصنم معبوده، و(ما) في (وما تنحتون) بمعنى (الذي) وكذلك في (وما تعملون)؛ لأنّ نحتهم هو عملهم)) .[٧٤]

وقد استحسن السمين الحلبيّ وجه (الموصولة) وفضّله على الأوجه الأخرى فقال: قوله: (وما تعملون) في (ما) هذه أربعة أوجه، أجودها أنّها بمعنى (الذي) أيْ: وخَلَق الذي تصنعونه، فالعمل هنا التصوير والنحت نحو: عمل الصائغ السِّوار أيْ: صاغه. ويُرجح كونَها بمعنى (الذي) تقدّم ما قبلَها فإنَّها بمعنى الذي، أيْ: أتعبدون الذي تنحتون، والله خلقكم وخلق ذلك الذي تعملونه بالنَّحت).[٧٥]

إذن فإنّ للمعنى أثره الكبير في تعيين نوع الأداة، وهو أقوى حجة في وصف هذا الرأي أو ذاك، بالتعسّف من غيره. ((وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء))، يقول جلّ ثناؤه: وأيُّ شيء يتبع من يدعو من دون الله " يعني: غير الله وسواه " شركاء. ومعنى الكلام: أيُّ شيءٍ يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذبٌ، والله المنفرد بملك كل شيء في سماء كان أو أرض. [٧٦]

وقوله – عَزَّ وَجَلَّ –: (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ) أي: ما يتبعون فيما يدعون من دون اللَّه من الشركاء بالحجج والبراهين أو اليقين بكتاب أو رسول، إنما يتبعون بالظن والحذر.[٧٧]

هو ما الاستفهام يقول: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، يعني أنهم ليسوا على شيء،[٧٨] مَا" للاستفهام على وجه الإنكار، وهو نصباً (يَتَّبِعُ)، و (شُرَكَاءَ) منصوب بـ (يَدْعُونَ) ، وقيل: "مَا" نفي،

و (شُرَكَاءَ) نصب كالأول، ومفعول (يَتَّبِعُ) محذوف، أي ما تتبع علما إن يتبعون إلا الظن. الغريب: "مَا" بمعنى الذي، والضمير محذوف، أي يتبعه، أو محله نصب بالعطف على "مَنْ"، والمعنى: ألا إن لله مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض، والأصنام التي يتبعها الذين يدعون من دون الله شركاء. العجيب: (شُرَكَاءَ) نصب بـ(يَتَّبِعُ)، أي ما يتبع في الحقيقة شركاء بل يتبعون الظن، ومفعول (يَدْعُونَ) محذوف، وهو شركاء أيضاً، كما تقول: شتمتُ وضربتُ زيداً.(٧٩)

هو إمّا اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ؟ وَقِيلَ: وَمَا يَتَّبِعُونَ حَقِيقَةً لِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهَا عَلَى ظَنِّ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ فَيَشْفَعُونَ لَنَا وَلَيْسَ عَلَى مَا يَظُنُّونَ. (٨٠)

وَما يَتَّبِعُ في معنى الاستفهام، يعنى: وأي شيء يتبعون. وشُرَكاءَ على هذا نصب بـ (يدعون)، وعلى الأوّل بـ(يتبع) وكان حقه وما يتبع الذين دعون من دون الله شركاء، فاقتصر على أحدهما للدلالة. ويجوز أن تكون «ما» موصولة معطوفة على «من» كأنه قيل: ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم، وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه: تدعون، بالتاء، ووجهه أن يحمل وَما يَتَّبِعُ على الاستفهام، أي: وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين. (٨١)

فِي كَلِمَةِ (مَا) قَوْلَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ نَفْيٌ وَجَحْدٌ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ مَا اتَّبَعُوا شَرِيكَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّمَا اتَّبَعُوا شَيْئًا ظَنُّوهُ شَرِيكًا لله تَعَالَى، وَمِثَالُهُ أَنَّ أَحَدَنَا لَوْ ظَنَّ أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَمَا كَانَ فِيهَا، فَخَاطَبَ إِنْسَانًا فِي الدَّارِ ظَنَّهُ زَيْدًا، فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ: إِنَّهُ خاطب زيداً بَلْ يُقَالُ خَاطَبَ مَنْ ظَنَّهُ زَيْدًا. الثَّانِي: أَنَّ (مَا) اسْتِفْهَامٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَيُّ شَيْءٍ يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، وَالْمَقْصُودُ تَقْبِيحُ فِعْلِهِمْ، يَعْنِي أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ.(٨٢)

قوله تعالى: (وَما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكاءَ) " مَا" لِلنَّفْيِ، أَيْ لَا يَتَّبِعُونَ شُرَكَاءَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بَلْ يَظُنُّونَ أَنَّهَا تَشْفَعُ أَوْ تنفع، وقيل:" ما" استفهام، أي: أي شيء يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ؛ تَقْبِيحًا لِفِعْلِهِمْ، ثُمَّ أَجَابَ فَقَالَ: ((إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)) أَيْ: يحدسون ويكذبون (٨٣)

وَما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكاءَ؛ أي شركاء على الحقيقة، وإن كانوا يسمونها (شركاء)، ويجوز أن يكون (شُرَكاءَ) مفعول يَدْعُونَ ومفعول يَتَّبِعُ محذوف دل عليه. إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ، أي: ما يتبعون يقيناً وإنما يتبعون ظنهم أنها شركاء، ويجوز أن تكون مَا استفهامية منصوبة بـ(يَتَّبِعُ) أو موصولة معطوفة على (من) وقرئ «تدعون» بالتاء الخطابية والمعنى: أي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين، أي أنهم لا يتبعون إلا الله ولا يعبدون غيره، فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله: ((أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ)) فيكون إلزاماً بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابه، لبيان سندهم ومنشأ رأيهم }(٨٤) وَمَا يَتَّبِعُ الذين يَدْعُونَ مِن دُونِ

الله شُرَكَاء} ما نافية أي وما يتبعون حقيقة الشركاء، وإن كانوا يسمونها شركاء؛ لأن شركة الله في الربوبية محال {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظن}، إلا ظنهم أنهم شركاء الله {وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ} يحزرون ويقدّرون أن تكون شركاء، تقديراً باطلاً أو استفهامية أي: وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بـ(يدعون) وعلى الأول بـ(يتبع)، وكان حقه (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) فاقتصر على أحدهما للدلالة، والمحذوف مفعول يدعون أو موصولة، معطوفة على (من) كأنه قيل: ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم .[٨٥]

وَالظَّاهِرُ أَنَّ (مَا) نَافِيَةٌ، وشركاء مَفْعُولُ يَتَّبِعُ، وَمَفْعُولُ (يَدْعُونَ) مَحْذُوفٌ لِفَهْمِ الْمَعْنَى تَقْدِيرُهُ: آلِهَةً أَوْ شُرَكَاءَ أَيْ: أَنَّ الَّذِينَ جَعَلُوهُمْ آلِهَةً وَأَشْرَكُوهُمْ مَعَ اللَّهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ لَيْسُوا شُرَكَاءَ حَقِيقَةً، إِذِ الشَّرِكَةُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ مُسْتَحِيلَةٌ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ أَطْلَقُوا عَلَيْهِمُ اسْمَ الشُّرَكَاءِ. وَجَوَّزُوا أَنْ تَكُونَ (مَا) اسْتِفْهَامِيَّةً فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بـ(يتبع)، وَشُرَكَاءَ مَنْصُوبٌ بِـ(يَدْعُونَ) أَيْ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُ عَلَى تَحْقِيرِ الْمُتَّبَعِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَنْ يَدْعُو شَرِيكًا لِلَّهِ لَا يَتَّبِعُ شَيْئًا. وَأَجَازَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنْ تَكُونَ (مَا) مَوْصُولَةً عَطْفًا عَلَى (مِنْ)، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ أَيْ: وَالَّذِي يَتَّبِعُهُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ أَيْ: وَلَهُ شُرَكَاؤُهُمْ. وَأَجَازَ غَيْرُهُ أَنْ تَكُونَ (مَا) مَوْصُولَةً فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: وَالَّذِي يَتَّبِعُهُ الْمُشْرِكُونَ بَاطِلٌ. وَقَرَأَ السُّلَمِيُّ: تَدْعُونَ بِالتَّاءِ عَلَى الْخِطَابِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهِيَ قِرَاءَةٌ غَيْرُ مُتَّجِهَةٍ.

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (تَدْعُونَ) بِالتَّاءِ، وَوَجْهُهُ أَنْ يُحْمَلَ وَمَا يَتَّبِعُ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ أَيْ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُ الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ شُرَكَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيُطِيعُونَهُ، فَمَا لَكَمَ لَا تَفْعَلُونَ فِعْلِهِمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ . [٨٦]

قوله: {وَمَا يَتَّبِعُ} يجوز في (ما) هذه أن تكون نافيةً وهو الظاهرُ، و (شركاء) مفعولُ (يَتَّبع)، ومفعولُ (يَدْعون) محذوفٌ لفَهْمِ المعنى، والتقدير: وما يتبع الذين يَدْعُون مِنْ دون الله آلهةً شركاءَ، فآلهةً مفعول (يَدْعون) و (شركاءَ) مفعول (يتبع)، وهو قولُ الزمخشري، قال: ومعنى وما يَتَّبعون شركاءَ: وما يتَّبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يُسَمُّونها شركاءَ؛ لأن شركةَ الله في الربوبيةِ مُحال، إن يتبعونَ إلا ظنَّهم أنها شركاءُ. ثم قال: «ويجوز أن تكون» (ما) استفهاماً، يعني: وأيَّ شيءٍ يَتَّبعون، و(شركاء) على هذا نُصِب بـ(يدعون) ، وعلى الأول بـ(يَتَّبع) «وكان حقُّه» وما يتبع الذين يَدْعُون من دون الله شركاءَ «فاقتصر على أحدهما للدلالة»، وهذا الذي ذكره الزمخشري وقد رَدَّه مكي ابن أبي طالب وأبو البقاء. أمَّا مكيٌّ فقال: انتصَبَ شركاء بـ (يَدْعون) «ومفعول» يَتَّبع «قام مقامَه» إنْ يتبعون إلا الظنَّ لأنه هو، ولا ينتصِبُ الشركاء بـ «يَتَّبع» لأنك تَنْفي عنهم ذلك، والله جلَّ جلاله الكريم قد أَخْبر به عنهم «. وقال أبو البقاء:» وشركاء مفعولٌ «يَدْعون» ولا يجوزُ أن يكونَ مفعول «يتبعون»؛ لأنَّ المعنى يَصير إلى أنَّهم لم يَتَّبعوا شركاء، وليس كذلك. قلت: معنى كلامِهما أنه يَؤُول المعنى إلى نفي اتِّباعهم الشركاءَ، والواقعُ أنهم قد اتَّبعوا الشركاء، وجوابه ما تقدَّم من أنَّ المعنى أنهم وإن اتَّبعوا شركاءَ فليسوا بشركاءَ في الحقيقة؛ بل في

تسميتهم هم لهم بذلك، فكأنهم لم يَتَّخذوا شركاءَ ولا اتَّبعوهم؛ لسلب الصفة الحقيقية عنهم، ومثلُه قولُك: «ما رأيتُ رجلاً»، أي: مَنْ يستحقُّ أن يُسَمَّى رجلاً، وإن كنت قد رأيت الذَّكر من بني آدم ويجوز أن تكونَ «ما» استفهامية، وتكون حينئذٍ منصوبةً بما بعدها، وقد تقدَّم قولُ الزمخشري في ذلك.

وقال مكي: لو جعلتَ (ما) استفهاماً بمعنى الإنكار والتوبيخ كانت اسماً في موضعِ نصبٍ بـ (يتَّبع) وقال أبو البقاء نحوه ويجوزُ أنَ تكونَ (ما) موصولةً بمعنى (الذي) نسقاً على (مَنْ) في قوله: {ألا إِنَّ للَّهِ مَن فِي السماوات} ، قال الزمخشري: ويجوز أن تكونَ (ما) موصولةً معطوفةً على (مَنْ)، كأنه قيل: ولله ما يتَّبعه الذين يَدْعون من دونَ الله شركاء، أي: وله شركاؤكم «.ويجوز أن تكون «ما» هذه الموصولةَ في محل رفع بالابتداء، والخبرُ محذوفٌ تقديرُه: والذي يَتَّبعه المشركون باطلٌ. فهذه أربعةُ أوجهٍ.[٨٧]

إذن (ما) إما نافيةٌ وشركاءَ مفعولُ يتّبع ومفعولُ يدْعون محذوفٌ لظهوره، أي: ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاءَ في الحقيقة، وإن سمَّوْها شركاءَ فاقتُصر على أحدهما؛ لظهور دلالتِه على الآخر، ويجوز أن يكون المذكورُ مفعولَ (يدعون)، ويكون مفعولُ (يتّبع) محذوفاً، لفهمه من قولِه تعالَى {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظن}، أي ما يتبعون يقيناً إنما يتبعون ظنَّهم الباطلَ، وإما موصولةٌ معطوفةٌ على (مَنْ) كأنه قيل: ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم وتخصيصُهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارةٌ أو دلالةٌ للمبالغة، في بيان بطلان اتباعِهم، وفسادِ ما بنَوْه عليه من ظنهم شركاءَهم معبودين مع كونهم عبيداً له سبحانه، وإما استفهاميةٌ، أي: وأيُّ شيءٍ يتّبعون أي لا يتبعون شيئا، ما يتبعون إلا الظن، والحال الباطلَ كقوله تعالى: ((مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أسماء سميتموها)) الخ وقرئ تدعون بالتاء، فالاستفهامُ للتبكيت والتوبيخ، كأنه قيل: وأي شيءٍ يتّبع الذين تدعونهم شركاءَ من الملائكة والنبيين، تقريراً لكونهم متّبعين لله تعالى مطيعين له، وتوبيخاً لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك، كقوله تعالى: ((أولئك الذيم يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوسيلة)) ثم صُرف الكلامُ عن الخطاب إلى الغَيبة، فقيل: إنْ يتبعُ هؤلاء المشركون إلا الظنَّ ولا يتبعون ما يتبعه الملائكةُ والنبيون من الحق .[٨٨]

قلت: (وما يتبع): يحتمل الاستفهام، فتكون منصوبة بـ(يتبع)، أي: أيُّ شيء يتبعون ما يتبعون؟ إلا الظن، ويحتمل النفي، أي: ما يتبع الذين يدعون الشركاء يقيناً، إن يتبعونَ إلا الظن، أو تكون (إن) تأكيداً لها، و (إلا الظن) إبطال لنفي (ما) .[٨٩]

وَما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكاءَ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ وَإِنْ سَمَّوْا مَعْبُودَاتِهِمْ: شُرَكَاءَ لِلَّهِ، فليست شركاء له على الحقيقة، لِأَنَّ ذَلِكَ مُحَالٌ لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا «١» وما: في: وما يتبع: نافية، وشركاء: مَفْعُولُ يَتَّبِعُ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَفْعُولُ (يَدْعُونَ) مَحْذُوفًا، وَالْأَصْلُ: وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دون الله شُرَكَاءَ فِي الْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءٌ لَا مُسَمَّيَاتٍ لَهَا، فَحُذِفَ أَحَدُهُمَا؛ لِدَلَالَةِ الْمَذْكُورِ عَلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَذْكُورُ مَفْعُولَ يَدْعُونَ، وَحُذِفَ مَفْعُولُ يَتَّبِعُ لِدَلَالَةِ الْمَذْكُورِ عَلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اسْتِفْهَامِيَّةً بِمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ

شُرَكَاءَ؟ وَيَكُونُ عَلَى هذا الوجه شركاء: منصوبا بـ(يدعون)، وَالْكَلَامُ خَارِجٌ مَخْرَجَ التَّوْبِيخِ لَهُمْ وَالْإِزْدرَاءِ عَلَيْهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (مَا) مَوْصُولَةً مَعْطُوفَةً عَلَى (من في السّموات) أي لله من في السموات ومن في الأرض، وما يتبع الذين مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ مَالِكٌ لِمَعْبُودَاتِهِمْ؛ لِكَوْنِهَا مِنْ جُمْلَةِ مَنْ فِي السّموات وَمَنْ فِي الْأَرْضِ. ثُمَّ زَادَ سُبْحَانَهُ فِي تَأْكِيدِ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَالدَّفْعِ لِأَقْوَالِهِمْ، فَقَالَ: إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ أَيْ: مَا يَتَّبِعُونَ يَقِينًا إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ ظَنًّا، وَالظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. (٩٠)

وَ (مَا) نَافِيَةٌ لَا مَحَالَةَ، بِقَرِينَةِ تَأْكِيدِهَا بِـ(إِنِ) النَّافِيَةِ، وَإِيرَادِ الِاسْتِثْنَاءِ بَعْدَهُمَا. وشُرَكاءَ مَفْعُولُ (يَدْعُونَ) الَّذِي هُوَ صِلَةُ الَّذِينَ وَجُمْلَةُ: (إِنْ يَتَّبِعُونَ) تَوْكِيدٌ لَفْظِيٌّ لِجُمْلَةِ (مَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ) وَأُعِيدَ مَضْمُونُهَا قَضَاءً لَحِقِّ الْفَصَاحَةِ، إذ حَصَلَ مِنَ الْبُعْدِ بَيْنَ الْمُسْتَثْنَى وَالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ؛ بِسَبَبِ الصِّلَةِ الطَّوِيلَةِ مَا يُشْبِهُ التَّعْقِيدَ اللَّفْظِيَّ وَذَلِكَ لَا يَلِيقُ بِأَفْصَحِ كَلَامٍ مَعَ إِفَادَةِ تِلْكَ الْإِعَادَةِ مُفَادَ التَّأْكِيدِ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ يَقْتَضِي الْإِمْعَانَ فِي إِثْبَاتِ الْغَرَضِ والظَّنَّ مَفْعُولٌ لِكِلَا فِعْلَيْ (يَتَّبِعُ)، و(يَتَّبِعُونَ) فَإِنَّهُمَا كَفِعْلٍ وَاحِدٍ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ التَّنَازُعِ؛ لِأَنَّ فِعْلَ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِيِّ لَا يَطْلُبُ عَمَلًا؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ تَكْرِيرُ اللَّفْظِ دُونَ الْعَمَلِ، فَالتَّقْدِيرُ: وَمَا يَتَّبِعُ الْمُشْرِكُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ.(٩١)

إن:

تعد (إن) مكسورة الهمزة من الأدوات التي لها أكثر من معنى، لا على نحو، ما ردده بعض العلماء من تعدد المعنى للحرف الواحد، بل كان ذلك من قبل الوضع المشترك، فيمكن أن تكون هناك صورة واحدة مشتركة لأكثر من حرف، اي الصورة واحدة المعاني متعددة، وهذا ما عبر عنه أولمان بـ(كلمات عدّة متحدة الصيغة)(٩٢). وهذا ما نجده في تراثنا العربي في قول ابن جني (فلن يكون من الحروف ما يصلح من المعاني لأكثر من الواحد، نحو ... و(إن) فإنها تكون، شرطاً ونفياً وتوكيداً قيل: هذا إلزاماً يُسقطه تأمله، وذلك أن (مَنْ) و (لا) و (إنْ) ونحو ذلك لم يقتصر بها على معنى واحد؛ لأنها حروف وقعت مشتركة، كما وقعت الأسماء مشتركة، نحو الصدى ...، ونحو ما اتفق لفظهُ واختلف معناه، كما وقعت الأفعال مشتركة، نحو: وجدت في الحزن ووجدت في الغضب ووجدت في الغنى ووجدت في الضالة ووجدت بمعنى علمت ونحو ذلك ، فكذلك جاء نحو هذا في الحروف)(٩٣)، وهكذا فان ظاهرة المشترك اللفظي تتجسد في عدد من الحروف، منها (إن) مكسورة الهمزة الخفيفة، وتؤدي (إن) مكسورة الهمزة أكثر من معنى .

تأتي (إنْ) حرف شرط وربما سميت جزاءً أيضاً(٩٤)، وقوله تعالى : {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ }(٩٥)، وقوله تعالى: {إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ }(٩٦)، وإنْ الشرطية وظيفتها الدخول على الفعل، وهي تقتضي تعلق جملة على أخرى (تسمى الأولى شرطاً، والثانية جزاءً، ومن حقهما أن يكونا فعليتين، ويجب ذلك في الشرط، فان كانا مضارعين جزمتهما، لانهما اقتضتهما فعملت فيهما)(٩٧)، وأن كانا ماضيين حكم على موضعهما بالجزم،

لبنائهما، وقد تدخل على ماضي ومضارع فيبقى الماضي مبنياً، وعندها لا تؤثر في المضارع أيضاً ، فيبقى مرفوعاً، لان أكثر النحاة يرون أنها اذا لم تؤثر في الذي يليها فلا تؤثر في الفعل الثاني[٩٨]، واستشهدوا لذلك بقول زهير:

وإن أتاهُ خليل يوم مسألةٍ يقولُ لا غائبُ مالي ولا حَرِمُ.[٩٩]

ورفعه عند سيبويه على تقدير تقديمه ويقول(إن أتاه) وقال بعضهم: إنها لما لم تؤثر في الأول ضعفت عن التأثير في الثاني، والكوفيون يرون أنه على حذف الفاء من الجواب ضرورة[١٠٠]، وفي حالة أخرى (قد يكون الشرط مستقبلا، والجزاء ماضياً، وهو أقل الوجوه، وذلك نحو قولك: إنْ تقم قمتُ مَعَكَ) .[١٠١]

وهناك صورة اخرى لـ (إن) وهي ، إن النافية، وهي حرف ثنائي الوضع (إن) حرفاً للنفي مثل (ما ولا وليس)، وهي أقرب إلى معنى (ما) النافية يدخل على الجملة الاسمية والفعلية، وهي غير عاملة؛ لأنها ليست مختصة[١٠٢]، ومن دخولها على الأسمية، نحو قوله تعالى: { إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ }[١٠٣]، وقوله تعالى: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ }[١٠٤]، وهذا على حذف المبتدأ وإبقاء صفته، وتقديره: وما أحدٌ، من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به، ومن دخولها على الجملة الفعلية، قوله تعالى: {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً }[١٠٥]، وكذلك{إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً }[١٠٦]، وكل (إنّ) بعدها (إلا) فهي نافية، وليس شرطاً ان تأتي (إلا) بعد كل (إن) نافية، اذ قد تأتي (إنْ) النافية وليس بعدها (إلاّ)[١٠٧]. نحو قوله تعالى: {قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }.[١٠٨]

وتأتي (إن) زائدة وهي ضربان كافة تأتي بعد (ما) الحجازية[١٠٩]. كقول النابغة الذبياني :

ما إنْ اتيت بشيءٍ انت تكرهه إذنْ فلا رفعت سوطي الى يدي[١١٠]

فـ (إنْ) هنا زائدة و (ما) داخلة على الجملة الفعلية، وقد تكون ما داخلة على الجملة الاسمية كقول الشاعر :

وما إن طبّنا جبْنُ ولكن منايانا ودولة آخرينا[١١١]

- وغير كافة وتأتي في مواضع .[١١٢]

١. بعد (ما) الموصولة الاسمية .

يُرجّي المرءُ ما إنْ لا يراهُ وتَعرِضُ دُونَ أدناهُ الخطوبُ .[١١٣]

٢. بعد ما المصدرية

وَرَجّ الفتى للخير ما أن رأيته على السّنّ خيراً لا يزال يزيد[١١٤]

٣. بعد (ألا) الاستفتاحية

ألا إن سرى لَيْلّي فبتُّ كَئيباً أحاذِرُ أنْ تنأى النَّوى بغضُوبا

وان الزيادة ليست معنى يؤديه الحرف ازاء تأديته لمعناه الأصلي الموضوع له، فهي إما أن تكون تكرارًا للكلمة معنى أو لفظاً، فيكون معنى التوكيد حينئذٍ مستفاداً من أسلوب التكرار، وإما أن تكون الزيادة زيادة في القالب التقليدي لبناء الجملة العربية، وحينئذٍ يكون مصطلحاً؛ يهتم بالعامل والحركة الإعرابية اكثر من اهتمامه بناحية الوظيفة والمعنى .[١١٥]

قد ترد (إنْ) وتؤدي وظيفة معينة، وقد حُكي عن قطرب والكسائي أن (إنْ) قد تكون بمعنى (قد)[١١٦]، وذلك في قوله تعالى : {فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى } .[١١٧]

وقوله : {تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }[١١٨]، ونقل عن الكوفيين أن (إن) قد تكون بمعنى (إذ)[١١٩]، وذلك في قوله تعالى: { وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }[١٢٠]، وقد زعم البعض أن (إنْ) قد تكون بمعنى (لو)[١٢١]، كما في قوله تعالى: {لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ}[١٢٢]، ونقل عن المفسرين أن (إنْ) في الآية الأولى التي بمعنى لو (إنْ كنتم مؤمنين) شرطية، وفي الآية الثانية مخففة من الثقيلة، وأن السياق هو الذي يحدد الوظيفة الأساسية للأداة من خلال الفهم المعين التي وردت فيه، وأن السياق الذي وردت فيه (إنْ) في هذه النصوص كان له الأثر في توجيه المعنى.

ولا يمكن تحديد الوظيفة الأساسية لهذه الأدوات إلا من خلال السياق، الذي ترد فيه هذه الأدوات، ونحن لا نتمكن من تحديد (إنْ) أهي شرطية أم نافية أم مخففة من الثقيلة؟

ــ المبحث الثالث: تعدد وظيفة الأداة النحوية الثلاثية والرباعية.

سنتناول في هذا المبحث الأدوات الثلاثية والرباعية وسيكون ذلك ضمن محاور وكالآتي: إلا،

المطلب الأول: (إلا)

أصل أدوات الاستثناء (إلا) وأُلحق بها (غير) و(سوى) بلغاتها، و(بيد)، و(عدا)، و(خلا)، و(حاشا)، و(ليس)، و(لا يكون)، وهذه الثمانية متفق عليها، وزاد ابن معطي فوقها (إلا أن يكون)، وألحق بها أيضاً خمسة مختلف فيها ، أثبتها قوم ونفاها آخرون، وهي: (لا سيما) بفروعها، و(لما)، و(بله)، و(دون)، و(ما)، وإنّما كانت (إلا) أُمَّ أدوات الاستثناء لما يأتي ذكره:

أولاً: لأنها حرف، والموضوع لإفادة المعاني الحروف، وإنما يُنقلُ الكلام من حال إلى حال بالحروف، فكما نقلت (ما) الكلام من الإيجاب إلى النفي، وهمزة الاستفهام من الخبر إلى الاستخبار، وحرف التعريف من التنكير إلى التعريف، نقلت (إلا) الكلام من العموم إلى الخصوص.

ثانياً: ولأنها تقع في جميع أبواب الاستثناء التام والناقص والمتصل والمنقطع، وما عداها يقع في مواضع مخصوصة منه، أو يشاركها في بعض مواقعها، مع أصالتها فيها، وفرعيته فيها. قال الحيدرة اليمني: أمّا (إلا) فهي أُمُّ الباب؛

لأنها تنصب ما بعدها إذا كان موجباً، أو مقدماً أو منقطعاً، وتتبع ما قبلها إذا كان منفياً، أو استفهاماً، أو نهياً، وتنصرف للعامل إذا كان مُفرَّغاً، قال الإربلي: إعلم أن هذه الأدوات الثلاث عشرة على ثلاثة أقسام: –

- منها ما لا يستعمل إلا في المنقطع، وهو (بَيْدَ)، وهي لازمة للنصب والإضافة إلى (أن) المشدّدة ومعموليها، قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد. ويقال فيها أيضاً: (ميد) بإبدال الباء ميماً.
- ومنها ما لا يُستعمل إلا في المتصل، وهو الأفعال الخمسة: ليس، ولا يكون، وعدا، وخلا، وحاشا على القول بفعلية هذه الثلاثة الأخيرة، فلا يُقال: جاءني القوم لا يكون حماراً [١٢٣]، وفي الإعراب؛ لأنّه يلزم أن يُجعل فاعل الفعل ضميراً لمتقدم، وهو عبارة عن المتأخر .[١٢٤]

اختلف العلماء والمفسرون في تعدد وظيفة (إلاّ) في الآية القرآنية من سورة النمل:

بين الزمخشري أنَّ عبد الله بن مسعود قرأ: (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ... هَلاَ يَسْجُدُوا لِلهِ)[١٢٥] على إرادة ((ألا) المؤلفة من «أنْ» و«لا»، وإبدال همزة (أن) هاء، وأنهما قرأ أيضاً: (هلا يَسْجُدُوا)، وذلك على إرادة ((ألا) التنبيهية وإبدال الهمزة فيها (هاء) أيضاً، والياء في ((يسجدوا)) في القراءتين هي (يا) حرف نداء محذوف وإبدال الهمزة (هاء) لغةً أهل الحجاز .[١٢٦]

المطلب الثاني: لا

عرف النحاة لـ (لا) معانى وظيفية متعددة، ولعل أوفى تقسيم لها ما جاء عند المرادي وابن هشام[١٢٧] ، وقد جاءت (لا) النافية بأقسامها عند معربي القرآن، فمن ذلك (لا) النافية للجنس، وهي العاملة عمل (إنَّ) والداخلة على الاسم النكرة ؛ فنجد الأخفش يقول: إن (لا) مشبهة بالفعل، وإنَّ خبرها المرفوع بمنزلة الفاعل، ومنصوبها بمنزلة المفعول به، ويُفرّق بين الرفع بغيرها والنصب بها بحسب تقدير سؤال، تكون هي وما بعدها إجابة له، فإذا كان قول الله تعالى: { فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ }[١٢٨] ، رفعاً، كان جواباً لقول من سأل: هل فيه رفث أو فسوق ؟ وإذا كانت نصباً كانت إجابة لمن سأل: هل من رفث أو فسوق أو جدال، وهي مثل: (لا شيء) جواباً لـ(هل من شيء) .[١٢٩]

المطلب الثالث: (لكن):–

وهي حرف يقع بين نقيضين دائماً، ويفيد الاستدراك أبداً، وهي حرف عطف، بشروط ثلاثة، أن يكون المعطوف بعدها مفرداً لا جملةً، وأن يسبقها نفي أو نهي، وألاّ تقترن بالواو، ذلك ما شربتُ اللبن لكن الماء. فإذا

تخلّف أحد هذه الشروط الثلاثة، أي: تلته جملة، أو اقترنت بالواو أو لم يسبقها نفي أو نهي، كانت حرف ابتداء واستدراك، يدخل على جملة، نحو: نعمل صباحاً ولكن نقيل ظهراً، وتكون الواو في هذه الحال هي العاطفة .[١٣٠]

ومن استعمال (لكن) قول زهير بن أبي سلمى:

إنَّ ابنَ وَرْقَاءَ لَا تُخشَى بَوادِرُهُ لكنْ وَقائِعُهُ في الحرب تُنْتَظَر [١٣١]

(لكن وقائعه تُنتظر): جاءت لكن في البيت حرف ابتداء، إذ تلتها جملة هي (وقائعه تنتظر) ومجيء جملة بعدها، يوجب اعتدادها حرف ابتداء، ويمنع اعتدادها حرف عطف (شروط العطف : ألا تتلوها جملة، وألا تقترن بالواو، وأن يسبقها نفي أو نهي).

وقول الشاعر[١٣٢]

وليس أخي مَنْ وَدْنِي رَأيَ عَيْنِهِ ولكن أَخِي مَنْ وَدَّنِي وهو غائبُ

(ولكن أخي مَنْ...) : لكن في البيت حرف ابتداء، إذ اقترنت بها الواو، واقترانها بها أوجب اعتدادها حرف ابتداء ، ومَنَع من اعتدادها حرف عطف (شروط العطف ألا تتلوها جملة وألا تقترن بالواو، وأن يسبقها نفي أو نهي، ومن ثم تكون الواو في هذه الحال حرف عطف، يعطف جملة على جملة [عطفت هنا جملة: (لكن أخي من ...) على جملة: (ليس أخي من ...). هذا، وحتى لو أسقطنا الواو – جدلاً – وأغفلناها، لظل في البيت مانع آخر يمنع من أن تكون (لكن) حرف عطف، وهذا المانع هو مجيء جملة بعد [لكن]، فيَحْتِم اعتدادها حرف ابتداء.

ومثل ما تقدّم طبقاً، قول الشاعر:

إذا ما قَضَيت الدِّينَ بالدِّينِ لم يكن قضاء، ولكن كان غُرْماً على غُرم

فقد اقترنت (لكن) هاهنا بالواو أيضاً ، فالواو إذاً هي حرف العطف، وأما (لكن) فحرف ابتداء، وذلك أنّ اقترانها بالواو يمنع من اعتدادها حرف عطف.

وشروط العطف: ألا تتلوها جملة، وألا تقترن بالواو، وأن يسبقها نفي أو نهي)، وفي البيت مانعاً آخر يمنع من أن تكون (لكن) حرف عطف، وهو مجيء جملة بعدها، فيَحْتِم اعتدادها حرف ابتداء.

اختلاف آراء النحويين حول الحرف (لكن) في قوله تعالى:

{لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً }.[١٣٣]

قال أبو جعفر: هذا من الله جلَّ ثناؤه استثناءٌ استثنى من أهل الكتاب من اليهود، الذين وصف صفتهم في هذه الآيات التي مضت، من قوله: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً }[١٣٤]، ثم قال جَلَّ ثناؤه لعباده، مبينًا لهم حكم من قد هداه لدينه منهم ووفقه لرشده ما كلُّ أهل

الكتاب صفتهم الصفة التي وصفت لكم، لكن الراسخون في العلم منهم، وهم الذين قد رسخوا في العلم بأحكام الله التي جاءت بها ،أنبياؤه، وأتقنوا ذلك، وعرفوا حقيقته، وقد بينا معنى الرسوخ في العلم"، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع والمؤمنون" يعني: والمؤمنون بالله ورسله، هم يؤمنون بالقرآن الذي أنزل الله إليك، يا محمد، وبالكتب التي أنزلها على من قبلك من الأنبياء والرسل، ولا يسألونك كما سألك هؤلاء الجهلة منهم أن تنزل عليهم كتابا من السماء؛ لأنهم قد علموا بما قرأوا من كتب الله وأتتهم به أنبياؤهم، أنك رسول الله، رسول واجب عليهم اتباعك، لا يسعهم غير ذلك، فلا حاجة بهم إلى أن يسألوك آية معجزة ولا دلالة غير الذي قد علموا من أمرك، بالعلم الراسخ في قلوبهم من إخبار أنبيائهم إياهم بذلك، وبما أعطيتك من الأدلة على نبوتك، فهم لذلك من علمهم ورسوخهم فيه، يؤمنون بك وبما أنزل إليك من الكتاب، وبما أنزل من قبلك من سائر الكتب، كما حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة قوله: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك[١٣٥]، استثنى الله أُثْبِيَّةً من أهل الكتاب، وكان منهم من يؤمن بالله وما أنزل عليهم، وما أنزل على نبي الله، يؤمنون به ويصدّقون، ويعلمون أنه الحق من ربهم، ثم اختلف في "المقيمين "الصلاة[١٣٦] ، أهم الراسخون في العلم، أم هم غيرهم؟، فقال بعضهم هم هم، ثم اختلف قائلو ذلك في سبب مخالفة إعرابهم إعراب الراسخون في "العلم، وهما من صفة نوع من الناس، فقال بعضهم: ذلك غلط من الكاتب، وإنما هو: لكن الراسخون في العلم منهم والمقيمون الصلاة . ذكر من قال ذلك: حدثني المثنى قال: حدثنا الحجاج بن المنهال، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن الزبير، قال: قلت لأبان بن عثمان بن عفان: ما شأنها كتبت ": لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة" ؟ قال: إن الكاتب لما كتب لكن الراسخون في العلم"[١٣٧]منهم، حتى إذا بلغ قال: ما أكتب؟ قيل له: اكتب: والمقيمين "الصلاة" ، فكتب ما قيل له حدثنا ابن حميد قال: حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أنه سأل عائشة عن قوله والمقيمين الصلاة، وعن قوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى}[١٣٨]، وعن قوله: { إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ }.[١٣٩]

الخاتمة

إن علماء العربية القدامى على اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم لم يذكروا مصطلح الأداة بشكل مفصل، بل ذكروا الحروف بعدها جزء من الكلم، والكلام يقسم على ثلاثة اقسام: (اسم، وفعل، وحرف) وكان مفهوم الحرف عند الجميع هو كلمة تدل على معنى في غيرها، وإن دورها الوظيفي لا يتعدى ذلك، وجاءت تسمية هذه الحروف بالأداة عفو الخاطر، وذلك مرده انتماء الأداة الى أكثر من باب نحوي، ولم يكن مفهوم العامل النحوي قادراً على إزالة اللبس أو الغموض الذي يعتريها من جهة المعنى، خاصة وأنها جاءت مشاكلة بحروف المعاني؛ فأنشد اختلاطها بها، وأن علماء اللغة القدماء عموماً لم يراعوا المستويات المختلفة، وحاولوا استخلاص قواعد اللغة وتقنياتها مما وصل اليهم من نماذج متعددة من كلام العرب القديم والمعاصر، وهنالك نظريتان عالج فيها القدماء والمحدثون مسألة تعدد المعاني المنسوبة الى الحرف الواحد، إحداهما نظرية التناوب الكوفية التي تسمح بالقول إن بعض الحروف ينوب بعضها عن بعض في تأدية المعاني، والأخرى نظرية التضمين البصري، التي لا تسمح بالقول بالتناوب، وترى أن الفعل قد أشرب معنى فعل آخر، يتعدى بذلك الحرف، فعدي به نتيجة لهذا، والحرف باقي على معناه الأصلي، فلكل حرف معنى واحد لا يفارقه، إلا أن بعض المحدثين حاول أن يستخرج من كتب التراث، ما يتضمن به؛ لبعد فصل أقسام الكلام معتمداً على المعنى، متخذاً من العامل النحوي رديفاً يسعفه في الفهم، وحاولوا إيجاد بعض الحدود التي تميز بها الأداة عن سواها، فوجدوا أنها لا تقبل علامات الاسم، كما أنها لا تقبل علامات الفعل، وليس لها مرتبة نحوية مستقرة، بل تتنوع بتنوع الجمل فيها ، وبحسب المعنى الذي يعد وسيلة لإيصاله، زد على ذلك إنها مبنية دائماً، وبما أن الأدوات تخدم المعنى وليس المبنى؛ فإنها قد تحذف؛ ولكن إن حذفت يبقى ما يدل عليها، حتى لا يختل المعنى، وتكسب معناها من السياق ولا تحمل معنى في نفسها.

الهوامش

[١]) الأحقاف:٢٦.

[٢]) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية ٦٨٥٩/١١.

[٣]) إبراهيم/٤٦.

[٤]) المائدة: ٦.

[٥]) الزخرف:١٢.

[٦]) يونس:٦٦.

[٧]) يس:٦ .

[٨]) آل عمران:١٠.

[٩]) طه:٧٢.

[١٠]) البحر المحيط ٦٤٦/٣

[١١]) آل عمران:١٠.

[١٢]) ينظر: سر صناعة الإعراب ٦٣٢/٢، والأزهية في علم الحروف ٢٣١، ومغني اللبيب ٣٥٤/٢ .

[١٣]) النساء:٤٢.

[١٤]) البقرة : ١٤٨.

[١٥]) النظام النحوي في القرآن الكريم: د. عبد الوهاب حسن حمد، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص١٤.

[١٦]) ينظر: المفصل في صيغة الإعراب، ٤٧٨/١.

[١٧]) ينظر: النظام النحوي في القرآن الكريم، ص٢٠ .

[١٨]) العنكبوت: ١٥ .

[١٩]) الحديد: ٢٦.

[٢٠]) الشورى : ٣.

[٢١]) القصص:٧.

[٢٢]) يوسف: ٨٦.

[٢٣]) البقرة : ٢١٦.

[٢٤]) ينظر: الفصول المفيدة في واو المزيدة، صلاح الدين خليل العلاني / تح : حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان ، ط١، ١٩٩٠م، ٥٥/١.

[٢٥]) ينظر الفصول المفيدة في واو المزيدة، ٥٢/١، والقاموس المحيط ، ١٧٤٧.

[٢٦]) الجنى الداني في حروف المعاني : ١٦٢.

[٢٧]) الكهف: ١٩.

[٢٨]) ينظر: الإتقان في علوم القرآن : ١٤٥/١.

[٢٩]) مريم: ٦٥– ٦٦ .

[٣٠]) الحج: ٥ .

[٣١]) الكهف: ٢٢.

[٣٢]) الحاقة: ٧ .

[٣٣]) النظام النحوي في القرآن الكريم : ص٢٣.

[٣٤]) الزمر: ٧١.

[٣٥]) الزمر: ٧٣.

[٣٦]) ينظر تفسير ابن الجوزي، ٦٢٩.

[٣٧]) الزخرف:١٣.

[٣٨]) ينظر: تفسير الكشاف: ٤/٢٣٩.

[٣٩]) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٨٨/٨.
[٤٠]) الكشاف: ٤/ ٢٣٩.
[٤١]) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٣٦١/٩.
[٤٢]) ينظر: الدر المصون : ٥٧٦/٩.
[٤٣]) ينظر: المحرر: الوجيز: ٤٧/٥.
[٤٤]) البحر المحيط في التفسير: ٩/ ٣٦١.
[٤٥]) ينظر: تفسير الجلالين : ٢: ٣١٣.
[٤٦]) التفسير الميسر: ٤٩٠/١.
[٤٧]) البقرة:٢١١.
[٤٨]) ينظر: مشكل إعرا ب القرآن ١٦٤/١، ومجمع البيان ٤٨/٢، والتحرير والتنوير ٢٨٨/٢.
[٤٩]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٨١/١، والبحر المديد ٢٣٧/١، وروح المعاني ٤٩٤/١.
[٥٠]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، ٢٥٤/١.
[٥١]) البحر المحيط: ٣٤٩/٢-٣٥٠.
[٥٢]) البيت من الطويل، ديوانه: ٢١٦ .
[٥٣]) التعسف في الرأي النحوي عند علماء العربية: ١٥١.
[٥٤]) ينظر: المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات: ٢٤٩، ومعاني الحروف: ١٦٧، ورصف المباني: ٣٧٧، والجنى الداني: ٣٢٢، ومغني اللبيب: ٢٩٦/١.
[٥٥]) الصافات:96.٩٥-
[٥٦]) التبيان في إعراب القرآن: العكبري:٣٠٤/٢
[٥٧]) ينظر: الكشاف: ٤٨/٤، والإبانة في تفصيل ماءات القرآن: ٤٢١، ومجمع البيان: ٢٢٨/٨: والبحر المحيط: ٣٥٢/٧، والتفسير القرآني للقرآن: ١٠٠١/١٢، والتحرير والتنوير: ٥٩/٢٣.
[٥٨]) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١٦٣/٢، والبيان في غريب إعراب القرآن: ٦٢٥/٢.
[٥٩]) ينظر: فتح القدير: ٤٦٢/٤.
[٦٠]) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١٦٢/٢، وتفسير القرآن للسمعاني ٤/ ٤٠٥، ومعالم التنزيل ١٠٩٢، والتبيان في إعراب القرآن ٣٠٤/٢، والجامع لأحكام القرآن ٥٧/١٨، وتفسير القرآن العظيم ٣٥/١٢، والإكليل في استنباط التنزيل ٢١٨.
[٦١]) المجبرة: هو اسم أطلقه المعتزلة على أهل السنّة والجماعة؛ إذ إنّهم يرون أنّ الإنسان لا قدرة له على شيء ولا يوصف بالاستطاعة، بل هو مجبور في أفعاله، فلا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنّما يخلق اللهﷻ الأفعال في الإنسان على حسب ما يخلق في سائر الجمادات. ينظر: الملل والنحل ٨٧/١.
[٦٢]) الكشاف: ٤/ ٤٩ ـ ٥٠ .
[٦٣]) في الأصل(الله) والسياق يقتضي ما صوّبت.

[٦٤]) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين: ٢٧٩.
[٦٥]) ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ٦٨.
[٦٦]) ينظر: المعتزلة ومشكلة الحريّة الإنسانية ٣١.
[٦٧]) الكشاف: ٤/ ٤٩ ـ ٥٠ .
[٦٨]) في الأصل: (بل وخلقه) وهما حرفا عطف لا يجتمعان.
[٦٩]) المعتزلة ومشكلة الحريّة الإنسانية: ٦٩.
[٧٠]) ينظر: الانتصاف من الكشاف(حاشية الكشاف) ٤/٤٦٩.
[٧١]) أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسيّ: ٣٩٦.
[٧٢]) مجمع البيان: ٨/٢٢٨.
[٧٣]) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢١/٧٠.
[٧٤]) البحر المحيط: ٧/ ٣٥٢.
[٧٥]) الدر المصون: ٩/٣٢١.
[٧٦]) الطبري: ١٥/١٤٢.
[٧٧]) الماتريدي: ٦/٦٢.
[٧٨]) الثعلبي٥: /١٣٩.
[٧٩]) غرائب التفسير: ٤٨٩.
[٨٠]) البغوي: ٢/٤٢٧.
[٨١]) الكشاف: ٢/٣٥٧.
[٨٢]) الرازي: ١٧/٢٧٩.
[٨٣]) القرطبي: ٨/٣٦٠.
[٨٤]) البيضاوي: ٣/١١٨ .
[٨٥]) تفسير النسفي ٢/٣١.
[٨٦]) البحر المحيط ٦/٨٤.
[٨٧]) الدر ٦/٢٣٥.
[٨٨]) النسفي ٤/١٦٢.
[٨٩]) البحر المديد ٢/٤٨٦.
[٩٠]) فتح القدير ٢/٥٢٣.
[٩١]) التحرير ١١/٢٢٥.
[٩٢]) ينظر: دور الكلمة في اللغة: أولمان، ١٢٩.
[٩٣]) الخصائص، ابن جني، ٣/١١٠ –١١١.

[٩٤]) ينظر: الكتاب، سيبويه، ٣/ ١٥٢، وحروف المعاني، الزجاجي، ٥٧، معاني الحروف، الرماني: ٧٤، والتراكيب اللغوية في العربية، هادي نهر:٢٢٣.

[٩٥]) الأنفال: ٣٨.

[٩٦]) الأنفال: ١٩.

[٩٧]) معاني الحروف، الرماني:٧٤.

[٩٨]) معاني الحروف الثنائية والثلاثية، رزاق عبد الأمير مهدي الطيار، ١٣٧.

[٩٩]) ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٥٣ .

[١٠٠]) ينظر: شرح الأشموني على الألفية : ٣/ ٥٨٥ .

[١٠١]) معاني الحروف، الرماني : ٧٤.

[١٠٢]) حروف المعاني، الزجاجي: ٥٧ .

[١٠٣]) المجادلة: ٢.

[١٠٤]) النساء: ١٥٩.

[١٠٥]) النساء: ١١٧ .

[١٠٦]) الكهف: ٥ .

[١٠٧]) معاني الحروف، الرماني، ٧٥.

[١٠٨]) يونس: ٦٨.

[١٠٩]) شرح المفصل، ابن يعيش، ١٢٩/٨.

[١١٠]) ينظر: ديوان النابغة الذبياني، ٢٨.

[١١١]) البيت مختلف في نسبته، ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، الثعالبي، ١٣١.

[١١٢]) ينظر: شرح المفضل، ابن يعيش، ١٣٠/٨ .

[١١٣]) البيت مختلف في نسبته، ينظر مغني اللبيب، ٣٨ .

[١١٤]) البيت مجهول القائل، ينظر مغني اللبيب، ٣٨.

[١١٥]) معاني الحروف الثنائية والثلاثية، ١٤٢ .

[١١٦]) ينظر: رصف المباني : ١١٠.

[١١٧]) الأعلى: ٩.

[١١٨]) الشعراء:٩٧.

[١١٩]) ينظر: رصف المباني: ١١٠.

[١٢٠]) المائدة :٥٧.

[١٢١]) ينظر: معاني الحروف : ٧٧.

[١٢٢]) الأنبياء: ١٧.

[١٢٣]) ينظر: جواهر الأدب للأربلي: ٤٧٥.

[١٢٤]) الإغراب في جدل الإعراب: ٦٣.
[١٢٥]) النمل: ٢٧-٢٥.
[١٢٦]) ينظر: الكشاف: ٣/٣٦٢.
[١٢٧]) ينظر: مغني اللبيب: ١/١٧٤، والجني الداني: ٢٥٦
[١٢٨]) البقرة: ١٩٧.
[١٢٩]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥/٣٢٩.
[١٣٠]) ينظر: النحو الوافي: ٣/ ٥١٦.
[١٣١]) ديوانه: ١٢٣.
[١٣٢]) الأمالي، القالي: ١/ ٨٢.
[١٣٣]) النساء: ١٦٢.
[١٣٤]) النساء: ١٥٣.
[١٣٥]) ينظر: دلائل الإعجاز: ٤-٥.
[١٣٦]) ينظر: المقتضب: ٢ /٤٥.
[١٣٧]) ينظر: شرح المفصل: ٧/١٦٦.
[١٣٨]) المائدة: ٦٩.
[١٣٩]) طه: ٦٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإبانة في تفصيل ماءات القرآن، أبو الحسن علي بن الحسين الأصفبهاني الباقوليّ(ت٥٤٢هـ)، تح: د. محمد احمد الداليّ، الكويت، ٢٠٠٩م.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٣، ١٣٧٠هـ-١٩٥١م.
- أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسيّ، د. مساعد مسلم عبدالله آل جعفر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحويّ الهرويّ، مطبعة مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازيّ الملقّب بفخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)، تح: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية بيروت، د.ت.

- الإغراب في جدل الإعراب، أبو البركات الأنباري، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٢، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
- الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطيّ(ت٩١١هـ)، تح: سيف الدين عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .
- الأمالي، أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الجليل، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الانتصاف من الكشاف(حاشية الكشاف)، ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنيرالاسكندريّ(ت٦٨٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٤، ٢٠٠٦م.
- البحر المحيط، محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، دار الفكر، د.م، ط٢، ١٩٧٨م.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنيّ(١٢٢٤هـ)، تح: أحمد عبدالله القرشيّ رسلان، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات الأنباريّ(ت٥٧٧هـ)، تح: د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء العكبريّ(ت٦١٦هـ)، تح: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسيّ(ت١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- التراكيب اللغوية في العربية- دراسة وصفية تطبيقية، د. هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٧م.
- التعسف في الرأي النحوي عند علماء العربية، د. غانم هاني كزار، دار الصادق الثقافية، العراق، ط١، ٢٠١٧م.
- زاد المسير في علم التفسير، ابن القيم الجوزي(٥٠٨-٥٩٧هـ)، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ط١، .
- تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠١هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، قدم له د. يوسف عبد الرحمن، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- تفسير القرآن، السمعاني(٤٢٦-٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن ابراهيم، غنيم بن عباس أبو بلال، دار الوطن للنشر، الرياض- السعودية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب(ت١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- التفسير الميسر، د. عائض القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٣، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، قدم له: الشيخ خليل الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المراديّ(ت٧٤٩هـ)، تح: طه محسن، مؤسسة دار الكتب، مطابع جامعة الموصل، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، علاء الدين بن علي بن بدر الدين بن محمد الإربليّ، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف،ط٢، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.
- حروف المعاني، أبو القاسم بن إسحاق الزجاجي(ت٣٤٠هـ)، تح: علي توفيق الحمد، دار الأمل، عمان، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جنَّي(ت٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- الدر المصون: ٣٢١/٩.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مراجعة محمد رشيد رضا، دار المنار، مصر، ط٤، ١٣٦٧هـ.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، تر: د. كمال بشر، مكتبة الشباب، ط١٠، ١٩٨٦م.
- ديوان النابغة الذبياني، تح: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب- للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٩م.
- ديوان زهير بن ابي سلمى، تح: حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقيّ (ت٧٠٢هـ)، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الثناء الألوسيّ محمود شهاب الدين أبو الفضل(ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت.
- سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جنَّي(ت٣٩٢هـ)، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك(منهج السالك الى ألفية ابن مالك)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ط١، ١٣٧٥هـ–١٩٥٥م.
- شرح المفصل، ابن يعيش(٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تح: مصطفى الشويميّ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، ١٣٨٢هـ–١٩٦٣م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، عالم الكتب، د.ت.
- الفصول المفيدة في واو المزيدة، صلاح الدين خليل العلاني، تح : حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، ط١، ١٩٩٠م،
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار العلم للجميع، بيروت–لبنان، د.ت.
- الكتاب، سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ(٤٦٧–٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، د.ت.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، تح: لجنة من العلماء والمحققين، منشورات مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.
- البحر المحيط، محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٨م.
- المحرر والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسيّ(ت٥٤٦هـ)، تح: عبد السلام عبد شافي محمد، ط١، دار الكتب العلميّة بيروت، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن سيده(ت٤٥٨هـ)، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، ٢٠٠٠م
- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، أبو علي النحوي الفارسي(ت٣٧٧هـ)، تح: صلاح الدين عبدالله السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، د.ت.
- مشكل إعراب القرآن، أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسيّ(٣٥٥–٤٣٧هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، مطبعة سلمان الأعظميّ، بغداد، ١٣٩٥هـ–١٩٧٥م.
- معالم التنزيل، أبو محمد الحسن البغويّ(ت٥١٦هـ)، ط١، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

- معاني الحروف، أبي الحسن علي بن عيسى الرُّمانيّ النحويّ(٢٩٦-٣٨٤هـ)، تح: عبد الفتاح اسماعيل شلبي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزيّة، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- معاني الحروف الثنائية والثلاثية بين القرآن الكريم ودواوين شعراء المعلقات السبع، رزاق عبد الامير مهدي الطيار، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م .
- معاني القرآن وإعرابه، أبي اسحق ابراهيم الزجاج، تح: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- المعتزلة ومشكلة الحريّة الإنسانية، د. محمد عمايرة، دار الشروق، القاهرة، ط٢، بيروت-لبنان، ١٩٧٢م. .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، تح: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٩.
- المفصل في صيغة الاعراب، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ(ت٥٣٨هـ)، تح: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- المقتضب، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢هـ)، طبع ونشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ١٤٠٢هـ.
- النحو الوافي، عباس حسن(ت١٣٩٨هـ)، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م.
- النظام النحوي في القرآن الكريم: د. عبد الوهاب حسن حمد، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص١٤.
- الهداية الى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسيّ(ت٤٣٧هـ)، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.